

مقدمة

دأب مكتب المغرب العربي على إصدار رسائل بين الحين والآخر ، تهدف إلى التعريف بقضايا أقطار المغرب والحركات الاستقلالية التي نشأت بها ، منذ أن فقدت استقلالها ورزحت تحت أقال الاستعمار الأجنبي . وقد تناولت هذه الرسائل نواحي مختلفة من حياة هذه البلاد التي كافت وما تزال تكافح في سبيل خلاصها واسترجاع سيادتها . فسدت بذلك فراغاً ظالماً شعر به إخواننا العرب ، خصوصاً في هذه الظروف التي ترعرع فيها الوعي القومي بين الشعوب العربية ، وأصبحت قضايا المغرب تشغل قادة العرب وزعماءهم بمثل ما تشغلهم قضايا الأقطار العربية الأخرى . ولا شك أن التعرف على قضايا الشعوب العربية ودراسة مشكلاتها المختلفة وتحديد أهدافها هو الخطوة الأولى في سبيل رسم الخطة لتحريرها وتطمين مستقبلها . وإذا كان هذا أمراً ضرورياً بالنسبة للأقطار العربية عامة ، فهو أوجب بالنسبة لأقطار المغرب التي ظلت مجهولة من العالم العربي سنين طويلة ، وكان إذا عرف عنها شيئاً فإنما يعرفه بواسطة المصادر الأجنبية التي تمحّص على إخفاء الحقيقة أو تلوينها بما يوافق مصلحتها الاستعمارية . ولم يكن السبب في هذا راجعاً إلى تقصير المغاربة في التعريف بقضايا بلادهم ، ولا إلى تهاون إخوانهم في الشرق العربي ، وإنما يرجع إلى النطاق الحديدي الذي ضربته الدول الاستعمارية على أقطار المغرب العربي سنين طويلة ؛ محاولة بذلك فصلها عن بقية العالم ، وبخاصة عن البلدان العربية ، حتى يتم لها تحقيق الأغراض التي ترمى لها من استعمار هذه لبلاد في غفلة عن العالم أجمع .

وهذا ما حدا بمكتب المغرب العربي إلى إصدار سلسلة من الكتب تتناول بالدراسة المفصلة أقطار المغرب الثلاثة (تونس والجزائر ومراكش) كلاً على حدة .

و « هذه تونس » هو الكتاب الأول من هذه السلسلة ؛ وهو يتناول بإجمال حياة هذه البلاد من خلال عصورها التاريخية مع إبراز معالم الحضارة التي نشأت بها في عهد الاستقلال ، وحركة تجديد الدولة التي بدأت قبيل الحماية ، وكيف تسرب التدخل الفرنسي إلى البلاد ففضي على هذه الحركة وأخذ أنفاسها وانتهى بالاستيلاء على مقاليد الحكم بها تحت ستار الحماية . كما يتناول تاريخ الكفاح الشعبي في طوره الحربى والسياسى ضد الاستعمار الفرنسى . ثم يتناول الكتاب بتفصيل أحوال تونس السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

وسيعرف القارئ العربى من فصول هذا الكتاب أن الحماية الفرنسية ألحقت أبلغ الضرر بتونس وبالشعب العربى فيها ، وأن مهمتها كانت دائماً هى عرقله تطور هذا الشعب وإغفال مصالحه وهضم حقوقه والعمل على تقوية العنصر الفرنسى بمختلف الوسائل على حساب العنصر العربى صاحب الحق الشرعى فى البلاد ، وأن الفرنسيين ساروا على سياسة استغلالية لا تقيم وزناً لمصالح الأهالى ولا تحفل بتقدمهم ، وأن الغاية التى سعت إليها خلال سبع وستين سنة منذ فرضت حمايتها على هذه البلاد هى إفقارها وتجهيلها والعمل على إدماجها فى العنصر الفرنسى ؛ لكي يتسنى لها إبقاؤها فى قبضتها الحديدية ، وحتى لا تصل فى يوم من الأيام إلى أن تحكم نفسها بنفسها . ومكتب المغرب العربى إذ يقدم الكتاب الأول من هذه السلسلة يرجو أن يكون قد وفق لإرضاء رغبات القراء فى العالم العربى الذين طالما رغب إلينا الكثير منهم فى وضع هذه السلسلة التى تعرفهم بجزء لا يتجزأ من وطنهم العربى الكبير .

القاهرة فى ٩ أبريل ١٩٤٨